

الفصل السابع

انتشار الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء

شكل دخول الإسلام الى افريقيا جنوب الصحراء منعطفاً تاريخياً مهماً في حياة سكان تلك البلاد ، فقد كان لمبادئ الإسلام وتطبيقاته الدينية والسياسية والاجتماعية الاثر الفعال في انتشاره خلال مدة قياسية قصيرة بين تلك الشعوب.

حمل الإسلام الى هذه المنطقة عوامل القوة في ذاته ، فهو لم يكتسح القبائل الوثنية بالقوة وإنما وصل اليها بالطرائق السلمية ، ان هذا التسامح وعدم الإكراه جعل الناس في افريقيا حكاما ومحكومين يعتقدون الإسلام بكل حرية وقناعة واختيار فالسلم والاقناع كان الطابع العام لانتشار الإسلام في افريقيا.

حدود افريقيا جنوب الصحراء : هي تلك المنطقة الفسيحة التي تمتد من المحيط الاطلسي في المغرب الى السودان وادي النيل في الشرق .

اطلق اسم بلاد السودان على جميع الاقاليم شبه الصحراوية من افريقيا والتي تمتد جنوبي الصحراء الكبرى ومصر ، اي من المحيط الاطلسي في الغرب الى البحر الاحمر في الشرق ، وقسمت بلاد السودان على ثلاثة اقسام هي :

1. السودان الشرقي : يشمل المناطق الواقعة حول حوض نهر النيل الممتدة الى اخر بلاد الحبشة وبداية بلاد الزنج .

2. السودان الاوسط : يشمل السودان الاوسط المنطقة الواسعة المحيطة بحيرة تشاد وتشمل اليوم جمهورية تشاد والجزء الشرقية من نيجيريا - وجزء من كل من الكاميرون وداهومي

3. السودان الغربي : ويمتد من ثنية نهر النيجر في الشرق حتى المحيط الاطلسي في الغرب .

ويطلق على كل من السودان الاوسط الغربي افريقيا الغربية التي تمتد من بحيرة تشاد في الشرق الى ساحل المحيط الاطلسي في الغرب.

وقامت في افريقيا ممالك اسلامية ساهم حكامها في نشر الإسلام وحضارته العربية في تلك البلاد ، فضلا عن تبنيها للنظم العربية الاسلامية في جميع مجالات الحياة.

تكوين السكان

ان سكان افريقيا بصورة عامة هم من سلالات واصول متنوعة . يمكن ان تقسم افريقيا على قسمين هي :

مناطق افريقيا الشمالية وبلاد الصحراء وسكانها اصحاب البشرة البيضاء والسمراء . اما المجموعة السكانية الثانية والتي تحتل القسم الباقي من افريقيا (جنوب الصحراء الى جنوب القارة ومن الاطلسي الى الهندي) فهم من الجنس الزنجي او السودان . ولا بد من الاشارة هنا الى ان الصحراء قد اثرت في بلاد السودان حيث ان الصحراء ليست دائماً كما يظن مظهراً للعزلة والفصل ، وانها في حالات كثيرة اداة للربط والاتصال عبر الواحات المتناثرة فيها وهكذا الحال بالنسبة للصحراء الافريقية الكبرى التي كانت تتخللها طرق كثيرة ادت دوراً هاماً في تاريخ بلاد السودان ويكفي القول هنا انه عبر هذه الطرق وصل الدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية الى بلاد السودان مما منح هذه المنطقة ملامح جديدة .

طرق انتشار الاسلام في افريقيا

اولاً : جهاد ابو بكر بن عمر الممتوني في افريقيا الغربية :

انتقلت قيادة المرابطين الى الامير ابي بكر بن عمر الممتوني والذي كان قائداً للجهاد ليس في بلاد المغرب فحسب وانما في مناطق غرب افريقيا . بدأ ابو بكر بن عمر اول هجماته على قبيلة براغواطة واخضعها لسلطته ، ثم عاد الى مدينة اغمات استعداداً للرحيل بجيشه الى الصحراء ، لنشر الاسلام بين القبائل الوثنية في السودان الغربي ، كما وصلته اخبار " اختلال احوال الصحراء ووقوع الفتن بين قبائل قومه " ، لمتونه وجداله .

عاد ابو بكر بن عمر من الصحراء الى مراكش بعد ان انهى الخلافات بين القبائل هنالك ، واجتمع بشيوخ المرابطين وتخلى امامهم عن الامارة لابن عمه يوسف بن تاشفين . اتجه الجيش المرابطي الى الجنوب للجهاد ضد مملكة غانة الوثنية في السودان الغربي ، وسيطروا على عاصمتها وذلك في سنة (468 هـ / 1076 م) .

اما الملك تتكامين السوننكي الذي كان يحكم غانة عند سيطرة الجيش المرابطي عليها ، فقد قبل الدخول في الاسلام ، تحت سلطة المرابطين .

واستمر المرابطون في نشر الاسلام في المناطق الوثنية في افريقيا الغربية تحت قيادة ابي بكر بن عمر اللتموني ، الى ان استشهد هذا القائد بسهم مسموم في سنة (480 هـ / 1087 م) .

وتجدر الاشارة ان استيلاء المرابطين على غانة ادى الى اعلان الإسلام ديناً رسمياً لمملكة غانة ، وتحولت الحكومة من حكومة وثنية الى حكومة اسلامية ومنذ ذلك التاريخ (469 هـ / 1076 م) ، صار حكم غانة من قبيلة السوننك مسلمين واشتهر حكام غانة المسلمين بحماستهم للإسلام وبالدور العظيم الذي قاموا به في سبيل نشر الاسلام ، واصبحت كلمة (السوننك) مرادفة لكلمة (داعي) عند القبائل الوثنية وهذا يدل على الاثر الكبير الذي اداه السوننك في نشر الاسلام .

ثانيا : دور التجار العرب المسلمون في نشر الاسلام في افريقيا الغربية :

ارتبطت بلاد المغرب بعلاقات تجارية تعود الى ما قبل الاسلام مع البلاد الواقعة جنوب الصحراء ولم تكن الصحراء تشكل حاجزاً دون الاتصال الحضاري المثمر بين الاقليمين . والواقع ان طرق القوافل التجارية الصحراوية التي تربط بلاد المغرب بغرب افريقيا قديمة ، وقد استخدمتها قبائل بلاد المغرب وقبائل الصحراء قبل الاسلام في نقل السلع والمنتجات من الشمال الى الجنوب والعكس .

ولما وصل العرب المسلمون الى بلاد المغرب ، وبعدها انتهاء عمليات الجهاد العسكرية فيها وتحريرها من السيطرة البيزنطية ، بدأت الدولة العربية الاسلامية بالاهتمام بالنشاط التجاري مع غرب افريقيا ، ولذا فقد وجهوا عنايتهم واهتمامهم الى طرق تجارة القوافل الصحراوية ، وقبل الحديث عن ذلك سوف نحاول تحديد المسارات الرئيسية ومحطاتها بين بلاد المغرب وافريقيا الغربية وتنقسم على ثلاث طرق هي :